

المنفيين الذين كانت "بدره" موطناً ثان لهم إبان الحكم الديكتاتوري، حين رفض كبار السن والأعيان دفنه بدعوى إنه "لا يؤمن بالله"، فدفن في مكان "محايد" على تلة يطل نظر نديم عليه من شباك الصف بمدرسته. وتعايش نديم مع أفراد من طبقة اجتماعية أدنى يختلفون معه ليس طبقياً فقط، بل في أنماط السلوك والمستوى الثقافي أيضاً من مثل (التحات الفطري حكمت الكردي، ورجب "المتقف الانتهازي" وغافل الذي يقص الحشائش، وعيسى الذي أواه في منزله بعد تسببه ونزلاء "الشماعية" خارجاً بسبب المجاعة وسرقة ممتلكات المستشفى، فكان إلى جانبه عند محاولته الانتحار التي أنقذه منها لكنها تسببت في موته، وهو من أنقذ الدفتر من الاحتراق كاملاً، وكل أولئك تعرف عليهم في مستشفى "الشماعية" باستثناء "فريد عمران" الذي تعرف إليه في سن الشباب بمقهى. نديم استشرّف أو تبنياً بفواجع أخرى قادمة ستحدث: «حروب أكثر دموية، وخراب يلحق بالإنسان والوطن أن الحرب القادمة ما هي إلا مقدمة لأمر بالغ الخطورة يُعدّ له في الخفاء على قدم وساق». الرواية ص16

«الشماعية امتدت وستمّت أكثر وأكثر لتسع كل شيء... كل شيء» الرواية ص 254 وقد تحققت "نبوءته"، فبعد سقوط النظام الديكتاتوري عام 2003 أطلق النظام السياسي البديل رصاصه الرحمة على ما أغفلته رصاصات النظام البائد من قيم ثقافية ومجتمعية فاضلة، حدث أن تبقى فيها نبض من حياة.

إن الحملة العسكرية التي قادتها أمريكا من أجل تغيير النظام كانت قد عجلت في سقوطه واندحاره، فحسب، ولم تكن هي السبب الوحيد في نهايته الدراماتيكية، شخصاً ونظاماً، بل إن لحركة التاريخ عوامل تعرية كانت تتخر جسد النظام، الذي تحول أخيراً إلى مجرد تمثال لنظام يرفض أن يدرك خطورة حركة التاريخ ومتطلبات البقاء. إن لتلك العوامل أثرها في سلبه رمق الحياة الذي لم يعد يستحقه، فكان الهروب غير المجدي، أمام عجلتي التغيير، العسكر وسطوة الزمن، ما يمثل إلا انتحاراً. لقد بقي نديم ذلك الابن البار والوفى لصيانة ميراث عائلة أبيه "اسكندر بيك" فذا هو يناجي أبيه، أو سوى بقاياها، أشياء عتيقة ثلاث: جسد متهالك، طربوش عثمانى، وسوط ملقى في حجره: «حسن... لقد حدث ما حدث وانتهى الأمر، وأعاهدك على أن أكون لك خير ابن.. ما أرجوه منك الصمود.. تسلك بالحياة؛ إذ يكفيك أن تخذلني لكي لا أغفر لنفسي جريمتي بحقك إلى الأبد» الرواية ص211

وما عائلته إلا البقية الباقية من للال طبقة اجتماعية من عصور الدولة العثمانية المنقرضة، بقيت تصارع، "مثلما هو النظام السياسي السابق"، أزماناً ليست بأزمانها، تنتج أجيالاً "ابناءً" لها، ترثهم السياط

ونزعة الشهوة إلى التسيّد على الآخر والقتل، مثلما ترثهم مرض الصرع والفضائح الأخلاقية والفساد، متوسلة ترميم أسباب البقاء دون جدوى، دون أي اكتراث لعوامل التعرية "التاريخية المتغيرة، فزالت بموت وزوال رمزها الوحيد "نديم"، فأملأها الشاسعة صارت نهياً للورثة من الاقارب، فلا ابن لها يرثها إلا "نديم اسكندر بيك" الذي مات منتحراً في بيت صديقه عيسى من مدينة الثورة ودفنه في مقبرة "محمد سكران" وهي مقبرة مهملة، دون أسف من أحد ما على موته أو حزن عليه حتى "بتول زوجته، حين يبلغها" الراوي نبأ موته ترد ببرود: «لا يسعني أن افعلت البكاء كما يفترض بامرأة تزلت حديثاً... كل ما يسعني قوله: فليرحمه الله، فقد أراح واستراح». الرواية ص25

أية مقارنة أو مقاربة يمكن للقارئ أن يكوّنها بين مصير "نديم اسكندر بيك" فرداً وعائلة وطبقة اجتماعية، وبين ما آل إليه مصير النظام الديكتاتوري السابق؟ هذي رؤية قرائية شخصية، ليس إلا... إن عنوان الرواية يشي ضمناً، إن زمناً ما. قد أضحى تماماً، تحت رماد حرائق حكم الديكتاتورية وحروبها العنيفة والحرب الأمريكية على العراق عام 1991 ذلك هو "الزمن المضيق" الذي لن يستطيع أحد ما استرجاعه بعد، لا الراوي، لأنه دون "ما لم تمسه النار" فقط، ولا "نديم" الذي اضرم فيه النار، بفعل نوبة من جنون ألت به واستنارتها مشاعر عبثية خليطة من الإحباط واليأس واللاجدوى، راحلاً في غياهب الموت دون رجعة، لا محال، سوف يستشعر قارئ ما، وبعد انتهاءه من قراءة الرواية، فراغاً أو حيزاً غير محسوس زمنياً وبلا دالة مكانية، فراغاً بلا أنفاس لموجودات ما، قد اقتلع من بنية زمن تلك الفترة المتخمة بالأوجاع، بل من بنية النص الروائي نفسه، غير أننا نجد سلوانا في إنجاز المؤلف لهذه الرواية ومؤكداً حقيقة دور الحرف في مواجهة الزمن الواقعي وإن استرجاع الماضي روائياً يعني عيشه ثانية، بمعنى آخر كما يقول: "مارسيل بروست" «إن ولادة الكتاب هي ولادة الكاتب، فني الروايات المحدثه تكون الحياة الحقيقية هي التي اكتشفت وأثيرت أخيراً، الحياة الوحيدة المعاشة فعلاً، هي حياة الكاتب على حد تعبير بروست».⁽⁵⁾

المؤلف:

عبدالحالوق الركابي ولد في العراق/محافظة واسط/ قضاء بدره عام 1946.

- بدأ شاعراً ونشر قصائده أواخر الستينيات وأصدر مجموعته الشعرية الوحيدة (موت بين البحر والصحراء) عام 1976/ مطبعة السعدون.-

- أكمل دراسته الجامعية عام 1970 وحصل على شهادة بكالوريوس في الفنون التشكيلية.-

- عمل في سلك التدريس تسعة أعوام. وبعدها عمل في مجال الثقافة.

- عمل مشرفاً لغوياً في مجلة آفاق عربية في منتصف الثمانينات.

- عمل محرراً في مجلة الأقاليم حتى عام 2003.

- عضو المجلس المركزي في اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين.

- حاز جائزة الدولة في نطاق الرواية والمسرح أكثر من مرة.

- اختير الروائي ضمن أربع روائيين عالميين من أجل كتابة التاريخ العربي الحديث على شكل رواية في إطار جائزة قطر العالمية للرواية، وقد ترجمت روايته إلى اللغة الإنكليزية والإسبانية والفرنسية.

- فازت روايته (الراووق) بجائزة معرض الشرق الكبير في بغداد عام 1987.

- فازت روايته (قبل أن يحلق الباشق) بجائزة أفضل كتاب أدبي عام 1990 عن دار الشؤون الثقافية العامة.

- فازت روايته (سابع أيام الخلق) بجائزة أفضل رواية عراقية عام 1995. كما اختيرت الرواية نفسها من قبل الاتحاد العام للكتاب العرب ضمن أفضل عشرين رواية عربية في القرن العشرين وقد ترجمت إلى اللغة الصينية، وقد أقرت لطلبة الدكتوراه /قسم الآداب للعام 1995 من قبل جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الدراسات العليا.

- في عام 1995 منحه نادي الجمهورية شهادة تقديرية كما أقام النادي نفسه حلقة دراسية حول روايته (سابع أيام الخلق).

- حولت بعض نتاجاته إلى مجالات السينما والتلفاز، منها (حائط البنادق) سهرة تلفزيونية، و فيلم (العاشق) عن روايته مكابدات عبد الله العاشق، و فيلم (الفارس والجلبل) عن قصته (الخيال).

- في عام 2017 - فاز بجائزة سلطان العويس في حقل القصة والرواية والمسرحية.

المصادر:

1. بيرسي لوبوك، صنعة الرواية، ترجمة عبد الستار جواد، دار الرشيد للنشر 1981 ص55.
2. طرائق تحليل السرد الادبي - مقالات السرد الادبي "تريتيان تودوروف" - منشورات اتحاد أدباء المغرب - ترجمة الحسين سبهان ص 55 بصيغة pdf
- 3- جيرمين بريه - مارسيل والتخلص من الزمن - وزارة الإعلام العراقية - 1977 ص59
4. جماليات الرواية العربية، وقائع مهرجان العجيلي 4 للرواية العربية - مديرية الثقافة بالرقعة - دار البنايع للطباعة والنشر ط1 - 2009.
5. محاضرة د. نجم عبدالله كامل - ص 151
5. الحداثة ج2 تأليف مالكم برادبري وجيمس ماكفارلن. ترجمة مؤيد حسن فوزي، دار المأمون للترجمة والنشر سنة 1990. ص134.

مثبت تاريخياً: رسائل غيرت العالم

تزرخ رفوف المكتبات بكتب التاريخ، لكن الكاتب البريطاني سايمون سيباغ مونتيفيور يتناول التاريخ من زاوية مختلفة في عمله الجديد، الذي يضم بين دفتيه رسائل مهمة تاريخياً على امتداد عصور وحقب متباينة، "تحت عنوان "مثبت تاريخياً: رسائل غيرت العالم Written in History: Letters that Changed the World.

نحو الأسوأ

يتيح هذا الكتاب قراءة التاريخ في ضوء رسائل أصحابها معروفون، باستثناء الرسالة مجهولة الهوية التي أحبطت مؤامرة تجسير البرلمان الإنكليزي في 5 نوفمبر 1605، وما زالت بريطانيا تحيي ذكراها في مثل هذا اليوم من كل عام.

هناك رسائل كتبت في فصول من التاريخ يعتبر قارئ الكتاب نفسه محظوظاً لأنه لم يعاصرها. فاختيارات المؤلف لا تميل إلى الرسائل الطريفة، لكن حسه في الانتقاء قاده إلى المثير والمرعب والمتأجج والصادم من الرسائل.

هناك صورة واحدة في الكتاب لتخطيط مخيف على هامش رسالة من ستالين كتبها في عام 1930، يقترح فيها عقاباً ملائماً لرفيق متسبب لا يمكن الاعتماد عليه، هو "تعليقه من خصيتيه".

يضم "رسائل غيرت العالم" رسائل غيرته نحو الأسوأ، بعضها جمل قصيرة كتبت على قصاصه ورق، لكنها تسبب في معاناة وموت ملايين البشر، مثل العبارات التي كتبها هتلر إلى موسوليني مبرراً غزوه الوشيك لروسيا: "دعني أقول شيئاً واحداً، أيها الدوتشي، بما إنني توصلت إلى هذا القرار بعد صراع، فأنا مرة أخرى أشعر بأني متحرروحياناً".

أشد إيلاماً

ماوتسي تونغ يجيز للحرس الأحمر ملاحقة من انحرافوا عن الطريق القويم بنظره في رسالة يقول فيها: "بعد أن تبيّنوا لهم أخطأهم، يجب أن تعرضوا عليهم مخزجاً من مصاعبهم، بإعطائهم عملاً يؤديونه وتمكينهم من أن يصححوا خطأهم ويصبحوا رجالاً جدداً".

تكاد تكون أشد إيلاماً رسائل بشر اعتياديين أُجبروا على العيش في العالم الذي غيرّه أمثال هتلر وموسوليني، ومنها رسالة سجينه إلى زوجها وابنها في 11 يوليو 1944

قبل أن تُعدّم مع ابنها الآخر في معسكر الاعتقال النازي في أوشفيتز تطلب منه أن يهتم بابنهما وألا يُفسده بالدلال، وأن يحافظا على صحتهما. تختتم الرسالة بالقول "يجب أن نركب الشاحنات، إلى الأبدية".

تعقب هذه الرسالة مباشرة رسالة كتبها الملك البابلي كادشمان إنليل إلى الفرعون أمنحتب الثالث في عام 1370 قبل الميلاد، عارضاً عليه إحدى بناته للزواج بثمن يدفعه الفرعون ذهباً. تلاحظ صحيفة تايمز في مراجعتها الكتاب أن المؤلف بأنطولوجيته هذه يرمي القارئ في أعماق أحد الفصول المرعبة من التاريخ، ثم ينتشله ويرميّه في أعماق حقبة أخرى تماماً.

نحو الأفضل

بعض الرسائل غيرت العالم نحو الأفضل. فإن جون هينسلو صديق تشارلس داروين في جامعة كامبردج كتب إليه في عام 1831 قائلاً إنه سيقدم اسمه، أي اسم داروين، لملء شاغر على متن السفينة بيغل.

كتب إلى داروين يقول: "لا تدع أي شكوك متواضعة أو مخاوف تتتابك بشأن عدم تأهلك، لأنني أطمئنتك بأنك الرجل الذي يبحثون عنه". لولا هذه الرسالة ورحلة داروين مع السفينة بيغل لما كتب كتابه "أصل الأنواع" الذي طرح فيه نظرية النشوء والارتقاء.

رسالة أميل زولا إلى الرئيس الفرنسي فيليكس فور فضحت معاداة السامية بطريقة فرنسية في التعبير عن الدهشة حين كتب: "الحقيقة والعدالة بعد هذا التوق إليهما بلهفة زمناً طويلاً يا للهول أن نراهما تُداسان تحت الأقدام، لا يُعترف بهما، بل يتم تجاهلهما".

الرسائل مرتبة بحسب موضوعاتها، وليس بحسب تسلسلها الزمني أو التاريخي: الحب والعائلة والخلق والشجاعة والحرب والدم والتدمير والكوارث والقدر... إلخ. وبالتالي، لا يعرف القارئ من يأتي تالياً، جيمس الأول بعد فيتا ساكفيل ويست والإمبراطورة ماريا تيريزا بعد المهاتما غاندي.

ضوء كاشف

بعض الرسائل لم تغيّر العالم، لكنها تلقي ضوءاً كاشفاً على الحالات الذهنية لعظماء، مثل مايكل أنجلو وهو يرسم سقف كاتدرائية سيستين. إذ شكّا مايكل أنجلو في رسالة إلى صديقه جيفاني "أن وركي يسحق معدتي،

معلومات الكتاب

الكتاب: "مثبت تاريخياً: رسائل غيرت العالم"

المؤلف: سايمون سيباغ مونتيفيور

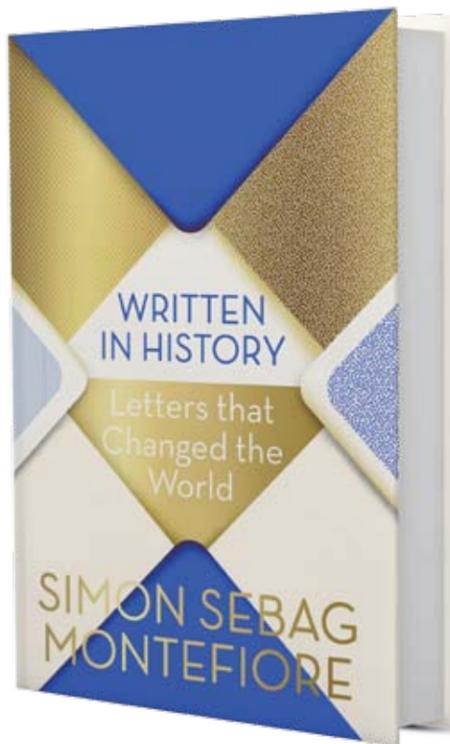
الناشر: ويدنفلد أند نيكولسون

اللغة: الإنجليزية

عدد الصفحات: 272 صفحة

تاريخ النشر: 4 أكتوبر 2018

الرقم المعياري الدولي للكتاب: ISBN-10. 147460918X



وعجيزتي المسكينة تتوه تحت عبء القيام بدور الثقل المضاد".

نصف كتاب مونتيفيور رسائل والنصف الآخر مداخل إلى الرسائل، كثيراً ما تكون أطول من الرسائل نفسها، أحياناً 30 سطراً من المدخل الشيق إلى رسالة من سبعة أسطر. فالمؤلف يحرص على توضيح السياق الذي كتبت فيه الرسالة.

موضوع القسم الأخير من الكتاب هو الوداع، ويضم رسائل ذات مغزى مثل رسالة وينستون تشرشل إلى زوجته في عام، 1915 يرجوها في حال موته أن تنظر إلى المستقبل: "تطلعي إلى الأمام، كوني حرة، استمتعي بالحياة، اهتمي بالأطفال، واحرسي مالي".

يؤكد كتاب "رسائل غيرت العالم" أن كتابة الرسائل ليست فنّاً يحترس كما يقول البعض.